أبو مازن لـ الجريدة: أتفاوض من أجل شعبنا وأرفض قيام دولة إسلامية

«لا يمكننا الانتظار حتى تُحل المشكلة مع حماس كي نبدأ التفاوض مع الإسرائيليين»

دافني بارك بالاتفاق الحصري مع الجريدة - عمان - الأردن

دافني بارك تحاور الرئيس عباس في عمان

كان أسبوعاً حافلاً بالنسبة إلى محمود عباس، الرئيس الفلسطيني الذي لا يمكنه الوصول إلا إلى جزء من مواطنيه.

يواجه هذا السياسي المخضرم، الذي انتُخب رئيساً للسلطة الفلسطينية، تحديات يومية بسبب حركة حماس، التي تسيطر على كل قطاع غزة. صحيح ان ما من دولة فلسطينية رسمية بعد، لكن عباس يواجه وضعاً غريباً نتيجة تشكُّل دولتين فلسطينيتين، الأولى يحكمها هو، والأخرى في غزة. لم يجرِ منذ فترة طويلة مقابلات تدخل في صلب المسائل الأساسية. كذلك حذرني الدكتور أحمد طيبي، صديقه الحميم الذي حضر المقابلة، من أن عباس لم يناقش مع أحد سابقاً حياته الشخصية.

كان من المفترض أن نسجِّل هذه المقابلة في منزله في رام الله، لكنه طرح فجأة مبادرته، التي تقضي بدعوة «حماس» إلى نوع من التواصل المباشر معه ومع سائر الفلسطينيين. قبل أن أتمكن من مقابلته وسؤاله عن أهداف قيادته الشعب الفلسطيني في هذه الأيام المضطربة، سافر إلى المملكة العربية السعودية للقاء الملك عبدالله بن عبدالعزيز، ثم انتقل إلى مصر واجتمع بالرئيس حسني مبارك، ليسافر بعد ذلك إلى الأردن حيث قابل الملك عبدالله الثاني، عندما حصل على دعمهم العلني، تجراً على الجلوس أمام الكاميرا والتحدث عن خططه ومشاعره. عباس، الملقب بأبي مازن، رجل لطيف، سرّ كثيراً بالكرة التي أحضرتها له من دوري أبطال أمم أوروبا لعام 2008، قال لي: «سيفرح أحفادي بهذه الكرة، لكني لست من عشاق كرة القدم، أفضل الكرة الطائرة...». بعد انتهاء المقابلة، أعرب عن دهشته عندما لاحظت أنه تطرق إلى مواضيع شخصية للمرة الأولى. كذلك أصر على دعوتي إلى شرب الشاي معه على شرفة منزله في عمان. هناك فتح قلبه أمامي وراح يروي لي قصصاً من واقعه اليومي تعكس وضع الشعب الفلسطيني والصعوبات التي يواجهها في ظل غياب الحلول. على سبيل المثال، أخبرني أنه، بصفته رئيساً، يملك طائرة خاصة، لكنه لا يستطيع استعمالها في معظم الأحيان، لأن المطار الذي اعتاد الإقلاع منه تعرَّض للقصف.

لذلك اضطر إلى اختيار عبور جسر «اللمبي»، البديل الوحيد المتوافر. وصف لي بصبر وسخرية ما سيواجهه بعد انتهائنا من شرب الشاي. قال: «نتوجه بالسيارة إلى الجسر، ما إن نصل حتى يوقفونا، علينا الانتظار... يختمون أوراقنا...».

على الرغم من صدقه وطباعه الدمثة، يتمكن عباس من إخفاء تعبه من كل هذه المناورات الإسرائيلية-الفلسطينية الأميركية... لا شك في أن «حماس» المتمردة لم تقصر هذه العملية الطويلة، لايزال المستقبل مبهماً. سألته مجدداً على انفراد، مع انني تطرقت إلى هذا الموضوع خلال المقابلة: ماذا سيحدث في حال لم تتجاوب «حماس» مع المبادرة؟. فجاء رده مفاجئاً، وبدل أن يطرح خياراً ثانياً أو ثالثاً، حدق بي وقال: «ماذا يمكنني أن أفعل؟ ماذا يمكنني أن أفعل أكثر من ذلك؟ أبذل قصارى جهدي... لأني أؤمن بالسلام».

وكان معه الحوار التالي:

> الضحايا الحقيقيون هم المدنيون الفلسطينيون... لا يمكنني معاقبتهم مرتين

• الرئيس عباس، نحن الآن في منزلك في عمان. أدليت لتوّك بتصريح مثير للجدل. قلت إن عليك التواصل مع «حماس». لمَ أصفه بالمثير للجدل؟ لأن الرئيس الإسرائيلي شمعون بيريز فاجأني أمس حين قال لي إنك يجب ألا تتحاور مع «حماس» البتة. الحوار معها أشبه بالحوار مع جدار.

نحن بدأنا هذه المفاوضات. ما من سبب يدفعنا إلى مقاطعة «حماس». أطرح ثلاثة شروط: أولاً، على «حماس» أن تعيد غزة إلى السلطات الشرعية. ثانياً، يجب أن تنصاع للسلطة الفلسطينية. ثالثاً، على الطرفين خوض انتخابات شرعية، إذا قبلت «حماس» هذه الشروط الثلاثة، في هذه الحال نرحب بالاجتماع مع قادتها. في النهاية، لايزالون جزءاً منا وينبغي أن يصغوا إلينا ويعملوا وفق ما نريده لا وفق ما يريدونه هم. إذا نجحت هذه المحاولة، فلم لا نتحاور، أما إذا فشلت، فسنبقى على المسار نفسه.

• حسب ما أقرأه اليوم، تتلقى دعماً كبيراً من قادة العالم العربي، لكن لا يُحل الخلاف إلا بموافقة الطرفين، هل أعرب قادة «حماس» عن استعدادهم للتحاور معك؟

حتى الآن لم تصلنا منهم أي أفكار أو ردود أو تصرفات إيجابية... أعلم أن الحل يحتاج إلى موافقة الطرفين. هذا مهم، لكن إذا لم تتعاون «حماس» معنا، أعتقد أنهم (قادتها) بذلك يرتكبون خطأً جسيماً، لأننا نحرز تقدماً في العالم العربي والإسلامي ونَنال الكثير من الدعم الدولي، لذلك عليهم أن يفكروا ملياً في ذلك الاقتراح، وإن لم يفعلوا.

• اجتمعت مرات عدة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي إيهود أولمرت، خلال تلك الساعات الطويلة من المفاوضات، هل وجدت أي قاسم مشترك بينكما خارج عالم السياسة؟

لا شك في أننا لم نعد نتطرق الآن إلى المسائل السياسية فحسب، بل نمضي ما لا يقل عن ثلاث ساعات في الحديث عن المسائل الإنسانية والشخصية. اختلف الوضع عما كان عليه سابقاً، من المؤسف أننا كنا أعداء في الماضي، أما الآن فقد بدأنا في إقامة علاقات شخصية بيننا.

• تعتمد وأولمرت أحدكما على الآخر، لكن من المؤسف أن مستقبل الأخير غامض جداً اليوم «بسبب ادعاءات الفساد المزعومة». كذلك اتصل به وزير الدفاع إيهود باراك، ووزيرة الخارجية تسيبي ليفني، ووزير النقل شاوول موفاز ودعوه إلى التنحي عن منصبه، كيف يؤثر ذلك في مستقبل مفاوضاتكم الجارية مع أولمرت؟

ندرك ذلك الوضع ونرى بوضوح ما يحدث في إسرائيل منذ تأسيسها. لا نفاجأ عندما نرى شخصاً بتلك الأهمية يتعرض للهجوم، وليست تلك المرة الأولى التي يحدث فيها أمر مشابه في إسرائيل منذ بدأنا المفاوضات. أحترم الديمقراطية الإسرائيلية، فهي جزء من اللعبة... لا يمكنني أن أنكر تأثير وضع أولمرت في العملية السياسية، ولا شك في أن مستقبل أولمرت سينعكس على مستقبل المفاوضات الجارية معنا، لكننا سنواصل تعاملنا معه بما أنه رئيس وزراء إسرائيل المنتخب، ولا نملك أي بديل آخر حتى الآن.

• اسمح لي أن أتكلم بصراحة
تفضلي

في الساحة ثلاثة لاعبين: الرئيس الأميركي جورج بوش، الذي يقوم بجولة وداعية حول العالم لأننا لم نعد نعامله كرئيس، فقد انتهت صلاحياته، وإيهود أولمرت رئيس الوزراء الإسرائيلي الذي يرغب وزراؤه في أن يتنحى، وأنت، الرئيس عباس، الذي لا يعترف به خصومه في غزة. إذن مَن المخول الآن بشأن عقد أي اتفاق سلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين؟

نعرف أن الرئيس بوش سيترك منصبه بعد بضعة أشهر، كذلك نحن مطلعون على الوضع الحرج الراهن الذي يواجهه أولمرت، لكن ما دمنا قد وافقنا على بدء المفاوضات وذهبنا إلى أنابوليس وباريس، فلا يسعنا القول إننا ما عدنا نريد التفاوض لأن الرئيس بوش سيرحل. يجب أن نواصل المفاوضات الى النهاية.

> نشعر أحياناً بالحزن عندما نرى الجميع يحاولون التقرب من اليهود في الولايات المتحدة

• التفاوض بشأن ماذا؟ ولأي هدف؟

التفاوض من أجل الشعب الفلسطيني، صحيح أن «حماس» تسيطر على غزة، ولكن لا تنسي يا دافني أن الضحايا الحقيقيين هم المدنيون الفلسطينيون الذين يفتقرون إلى العناية الصحية ويعجزون عن تحصيل علومهم، أو الخروج من غزة، أو العودة إليها، أو حتى تأمين قوتهم كما اعتادوا في السابق. لا يمكنني معاقبتهم مرتين.

أخذنا أنا وعباس استراحة قصيرة، بينما عمل فريقي على تغيير زاوية التصوير... من المثير للاهتمام أنه رفض الإجابة عن أسئلتي باللغة الإنكليزية، لذلك رحت أطرح عليه الأسئلة بالإنكليزية ورد عليَّ باللغة العربية التي أفهم بعض عباراتها، وتولى عضو البرلمان الإسرائيلي الدكتور طيبي مهمة الترجمة وإنما إلى العبرية لا الإنكليزية، فشعر المنتجون الذين لا يتقنون العربية أو الإنكليزية، أنهم في المكان الخطأ، حتى أنا شعرت ببعض الغرابة مع أنني أفهم كلتا اللغتين، ولاحظت أن هذا الوضع غير المألوف يعبّر بكل وضوح عن وضع الفلسطينيين المحير، فهم فخورون بعروبتهم، لكن بسبب الاحتلال الإسرائيلي الذي استمر 40 عاماً، أي جيلاً كاملاً، تحوّلوا إلى منتَج إسرائيلي عربي جديد. لا شك في أن ذلك أمر جيد في حال نجح الفلسطينيون والإسرائيليون في تحقيق السلام، أمر يمكن البناء عليه في المستقبل، لكن تلك الحادثة، التي حصلت لي قبل بضعة أيام، أوقعتني في الحيرة.

أضحك لأن أحمد طيبي أرسل لي إحدى نكات جون ستيوارت (ناقد سياسي أميركي ساخر)... يهزأ بالمرشحين الأميركيين الرئاسيين الثلاثة، الذين أصبحوا اثنين الآن، متحدثاً عن أي منهما يهوديا أكثر من اليهود... وقلت لعباس: تعي، سيدي الرئيس، أن الأصوات اليهودية في أي انتخابات أميركية تُعتبر بالغة الأهمية، ومحاولة تقرب المرشحين من الأصوات اليهودية لن يكون لمصلحتكم، قبل معرفة الفائز في الانتخابات في شهر نوفمبر.

- هذا صحيح يا دافني. لا نملك أي وسيلة اتصال بباراك أوباما، لا شك في أننا نعرف آل كلينتون. وأعرف أيضاً جون ماكين، فقد اتصل بي حديثاً.

• هل التقيت أياً من المرشحين الرئاسيين؟

التقيتهم جميعاً. التقيت أوباما، فقد جاء لزيارتي، كذلك زارني ماكين عدة مرات في السابق، وكما أخبرتك، تحدثت إليه على الهاتف عندما قدم هو وجو ليبرمان إلى هنا، أما هيلاري كلينتون، فقد خرجت من السباق، لكنني واثق من أنها ستؤدي دوراً كبيراً. طبعاً أعرفها، غير أننا لم نتحادث منذ مدة.

• الشائعات... المفاوضات السرية بين إسرائيل وسورية، يؤدي رئيس الوزراء التركي أردوغان دور الوسيط... هل تخدم تلك التطورات مصلحة الفلسطينيين أم تسيء إليها؟

لم تعد المفاوضات سرية الآن، فقد أطلعنا عليها قبل أشهر الرئيس الأسد ورئيس الوزراء الإسرائيلي أولمرت، فضلاً عن الرئيس بوش، ونعلم أيضاً أن الرئيس بوش يدعمها ويريد لها النجاح. وأقرت بها تركيا وسورية وإسرائيل بطريقة أو بأخرى. إذا نجحت هذه المفاوضات فسنشعر بفرح كبير.

• ما السبب؟

لطالما قلت: قد تظنون أن إعطاء الأولوية للقناة الإسرائيلية-السورية سيؤذي الفلسطينيين، لكنني أظن أن ذلك سيكون له تأثير إيجابي... فإذا توصل الإسرائيليون والسوريون إلى تفاهم، فيمكن أن ينعكس هذا الأمر على قادة «حماس». لا شك في أنك تعرفين أن سورية تستطيع التأثير فيهم.

• لنفترض أن مبادرتك للتحاور مع «حماس» لم تنجح ورفض متطرفو تلك الحركة القبول بك، كيف ستحاول عندئذٍ حل الأزمة في غزة؟

لا نكف عن التفكير في غزة وفي الشعب الفلسطيني، الذي يعاني باستمرار. ولم نتوقف يوماً عن التأمل في الوضع في غزة، سنتابع مفاوضاتنا مع الإسرائيليين، وإذا توصلنا إلى حل فسنعرضه على شعبنا ليوافق عليه بطريقة ديمقراطية، فلا يمكننا الانتظار حتى تُحل المشكلة مع «حماس» كي نبدأ نتفاوض مع الإسرائيليين. سنواصل مفاوضات السلام هذه برضى «حماس» أو من دونه، يجب أن نوضح للجميع أننا لا نعتمد عليهم، وفي النهاية، سنطلع الشعب على كل ما نحققه في مسيرة السلام ونطلب موافقته.

• متى ستجرون الانتخابات التالية؟

إذا كنت تقصدين الانتخابات العامة، فلم نحدد موعدها بعد، لكن إن توصلنا إلى اتفاق محلي مع «حماس»، فنحن مستعدون لبدء الحملة الانتخابية في أي وقت.

• هل تنوي الترشح؟
سؤالك سابق لأوانه.

• لماذا؟
لأنني الآن لا... لا يمكنني الإجابة.

• حسناً، لكل عمل أوجه سلبية (الالتزامات)، فضلاً عن أوجه إيجابية (الامتيازات، الحفلات، الفن، التسلية، والمرح)، لكن عملك سيدي الرئيس، يقتصر على الالتزامات، أليس كذلك؟
صحيح.

• لا متعة

لا أجد أي متعة في عملي، فهو يقتصر على المسؤوليات وحل الأزمات، وكلما ظننت أنك ستحققين إنجازاً ما وتتمكنين من مساعدة الناس، ظهرت مشكلة أخرى عليك حلها... نعم، أصبت. هذا هو عملي، حتى إنني أتساءل أحياناً لم لا أتخلى عنه... غير أن الشعب الفلسطيني بحاجة إلى مساعدة كبيرة. لا يشمل عملي ما عددته لتوك «الحفلات والعروض الأولى للأفلام والمسرحيات». لا، لا... علي ألا أتنحى عن منصبي هذا، كي أتمكن من مساعدة الفلسطينيين وهذه المنطقة، لكن الرئاسة لا تحمل للمرء إلا الأعباء والصعوبات، وهي متعبة، كما قلت.

> عباس رجل لطيف سرّ كثيراً بالكرة التي أحضرتها له من دوري أبطال أوروبا

• كثيرا ما كنت من الداعين للسلام، ما الذي يجعلك تستمر في الكفاح؟
الأمل.

• ذلك صحيح؟
نعم، لدي أمل... أؤمن بالسلام وأملك الأمل.

• ولكن متى ترتاح؟
أعمل بشكل متواصل ولا أملك وقتاً للراحة.

• لكن...
بصراحة، الوقت الذي أمضيه مع عائلتي وأحفادي، لدي ثمانية أحفاد، هو وقت راحتي. لا يمكنني الابتعاد عن أحفادي، فهم مستقبلنا، وهذا ما يجعلني أحافظ على تركيزي حتى في الأوقات العصيبة. أراهم أحياناً في منازلهم المجاورة لمنزلي في رام الله، وأطلب أحياناً أخرى إحضارهم إلى مكتبي لأنني أود رؤيتهم مع انني لا أملك الوقت. أجد متعة كبيرة في تعليمهم أشياء جديدة، مهما كانت... عملت في السابق مدرساً.

• كم كانت حياتك ستكون هادئة لو لم تتخلَّ عن عملك؟
نعم، كنت مدرساً قبل أن أمتهن الحقوق، بعد ذلك دخلت معترك السياسة.

• هل علمت في مدرسة ابتدائية سابقاً؟
نعم، كنت أعشق ذلك.

• لا نرى عائلتك أو زوجتك، السيدة الأولى الفلسطينية، أو أولادك... هل ذلك ما يريدونه هم أم تريده أنت؟
أنا رجل أحب عائلتي، فهي الدافع الذي يجعلني أتأقلم مع هذه الصعاب اليومية، لكل فرد في عائلتي مسؤولياته الخاصة في المنزل، الآن كما في السابق. لم يتبدل الوضع بعد أن أصبحت الرئيس الفلسطيني. تتابع زوجتي وأولادي حياتهم بشكل طبيعي. نحن لا نحب التحدث عن مسائلنا الشخصية والعائلية، فقد قررت أنا وزوجتي أن نبقي عائلتنا خارج دائرة الضوء... كان ذلك قراراً مشتركاً.

• أين يعيشون؟ في رام الله؟

لدي ثلاثة أولاد، مات أحدهم قبل خمس سنوات وتعيش عائلته في الدوحة بقطر. ويقيم الآخران في رام الله ويعيش كل منهما في منزله قرب منزل العائلة.

• مَن هو باراك أوباما الفلسطيني في نظرك؟ معنا هنا أحمد طيبي، لكن بخلاف أحمد، مَن سيكون الجيل التالي من القادة الفلسطينيين؟ وهل أنت قلق بذلك الشأن؟
ثمة جيل جديد من الشباب المتحمسين والمثقفين وسرعان ما يبدأون بتبوؤ المناصب. أقول ذلك لأننا نملك خطة ننوي التركيز عليها. ما من سبب يدفعني إلى إبعاد الجيل الجديد. على العكس، هم مستقبل الشعب الفلسطيني وأمله الوحيد، ولا شك في أننا سنحظى بفلسطينيين كُثر على غرار باراك أوباما.

• ينزل في الغرف المجاورة لغرفتي في الفندق رئيس الوزراء العراقي نوري المالكي، فقد قدِم إلى الأردن، وها هو يطلق شتى أنواع التصريحات عن المستقبل الوشيك للعراق والتحالف مع الأميركيين، كيف تؤثر الفوضى العراقية في وضعكم؟
لا شك في أن الفوضى العراقية تزعجنا لأن هذا بلد عربي، وما يهمهم يهمنا نحن أيضاً، فوحدة أمتهم، التي تُعتبر مشكلة الآن، تهمنا. تواجه القيادة العراقية الحالية كثيرا من المصاعب والأسئلة التي لا تجد لها جواباً. تجمعنا علاقات جيدة بالرئيس العراقي جلال طالباني ورئيس الوزراء ومعظم القادة العراقيين. كذلك يقلقنا العنف الذي يتعرض له الفلسطينيون هناك بين الحين والآخر. لماذا؟ لأننا لا نريد أن تؤثر تلك الحوادث في علاقتنا بهم. نملك علاقات طيبة، لكنها هشة جداً ويجب أن نحافظ عليها.

• هل سمعت عن الفتنة؟
لا شك في أننا نرفضها، لذلك سأقول إن علينا، نحن كدولة فلسطينية، أن نتعامل معها بطريقة مختلفة عما حدث في أفغانستان. إنها دينية المنشأ.

• نسمع منذ سنوات كلاماً عن قيام أو عدم قيام دولة فلسطينية، ولكن في أي نوع من الدول تفكرون؟
دولة ديمقراطية، ليبرالية، وحرة. أرفض قيام دولة فلسطينية إسلامية، لهذا السبب نعارض «حماس»، فنحن نختلف معها في مسألة تطبيق القوانين الدينية. وتلك ليست نقطة يمكنني المساومة بشأنها.

•إذن، هل يمكنك أن تحقق الدولة التي تحلم بها رغم وجود حماس؟
أعتقد ذلك. آمل ذلك... يجب أن نقبل حلا يوافق دولتين، وينبغي أن تكون الأمة أمة أديان مختلفة لا دين واحد.

• إذن، بين إيران وباكستان وتركيا، تكون تركيا النموذج الذي تطمح إليه.
الجمهورية التركية. ليست تركيا دولة إسلامية، بل علمانية. صحيح أن النظام إسلامي، لكن القادة معتدلون. تعرضت للكثير من الضغوط، إلا أنني رفضت إنشاء دولة إسلامية، وأؤيد قيام جمهورية ديمقراطية.

• هل ذلك ممكن؟
يجب أن يكون كذلك، فأنا لا أرى حلاً آخر.

> من المؤسف أننا كنا أعداء في الماضي أما الآن فقد بدأنا في إقامة علاقات شخصية بيننا

باراك والرئيس عباس والنائب طيبي